

الكبائر

الكبيرة الثامنة : عقوق الوالدين .

قال ﷻ تعالى : { وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا } أي برا و شفقة و عطفا عليهما { إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف و لا تنهرهما { : أي لا تقل لهما بتبرم إذا كبرا و أسنا و ينبغي أن تتولى خدمتهما ما توليا من خدمتك على أن الفضل للمتقدم و كيف يقع التساوي و قد كانا يحملان أذاك راجين حياتك و أنت إن حملت أذاهما رجوت موتهما ثم قال ﷻ تعالى : { و قل لهما قولا كريما } أي لينا لطيفا { و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا } و قال ﷻ تعالى : { أن اشكر لي و لوالديك إلي المصير } فانظر رحمك ﷻ كيف قرن شكرهما بشكره قال ابن عباس Bهما : ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها (إحداهما) قول ﷻ تعالى : { أطيعوا ﷻ و أطيعوا الرسول } فمن أطاع ﷻ و لم يطع الرسول لم يقبل منه (الثانية) قول ﷻ تعالى : { و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة } فمن صلى و لم يرك لم يقبل منه (الثالثة) قول ﷻ تعالى : { أن اشكر لي و لوالديك } فمن شكر ﷻ و لم يشكر لوالديه لم يقبل منه و لذا قال النبي صلى ﷻ عليه و سلم [رضى ﷻ في رضى الوالدين و سخط ﷻ في سخط الوالدين] .

و [عن ابن عمر Bهما قال : جاء رجل يستأذن النبي صلى ﷻ عليه و سلم في الجهاد معه فقال النبي صلى ﷻ عليه و سلم : أحي والداك ؟ قال : نعم قال : ففيهما فجاهد] مخرج في الصحيحين فانظر كيف فضل بر الوالدين و خدمتهما على الجهاد ! .

و في الصحيحين [أن رسول ﷻ صلى ﷻ عليه و سلم قال : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : الإشراك بـ ﷻ و عقوق الوالدين] فانظر كيف قرن الإساءة إليهما و عدم البر و الإحسان بالإشراك و في الصحيحين أيضا [أن رسول ﷻ صلى ﷻ عليه و سلم قال : لا يدخل الجنة عاق و لا منان و لا مدمن خمر] و عنه صلى ﷻ عليه و سلم قال : [لو علم ﷻ شيئا أدنى من الأف لنهى عنه فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة و ليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار] و قال صلى ﷻ عليه و سلم : [لعن ﷻ العاق لوالديه] و قال صلى ﷻ عليه و سلم : [لعن ﷻ من سب أباه لعن ﷻ من سب أمه] و قال صلى ﷻ عليه و سلم : [كل الذنوب يؤخر ﷻ منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه يعني العقوبة في الدنيا قبل يوم القيامة] .

و قال كعب الأحبار C : إن ﷻ ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقا لوالديه ليعجل له العذاب و

في التوراة : على من صك والده الرجم .

و عن عمرو بن مرة الجهني قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أرأيت إذا صليت الصلوات الخمس و صمت رمضان و أدت الزكاة و حججت البيت فماذا لي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [من فعل ذلك كان مع النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين إلا أن يعق والديه] و قال صلى الله عليه وسلم : [لعن الله العاق والديه] و جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [رأيت ليلة أسري بي أقواما في النار معلقين في جذوع من نار فقلت : يا جبريل من هؤلاء قال : الذين يشتمون آباءهم و أمهاتهم في الدنيا] .

و روي أن من شتم والديه ينزل عليه في قبره جمر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء إلى الأرض و يروى أنه إذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف فيه أضلعه و أشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة : المشرك و الزاني و العاق لوالديه .

و قال بشر : ما من رجل يقرب من أمه حيث حيث يسمع كلامها إلا كان أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله و النظر إليها أفضل من كل شيء [و جاء رجل و امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يختمان في صبي لهما فقال الرجل : يا رسول الله ولدي خرج من صليبي و قالت المرأة : يا رسول الله حمله خفا و وضعه شهوة و حملته كرها و وضعته كرها و أرضعته حولين كاملين فقضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمه] .

(موعظة) : أيها المضيع لآكد الحقوق المعتاض من بر الوالدين العقوق الناسي لما يجب عليه الغافل عما بين يديه بر الوالدين عليك دين و أنت تتعاطاه باتباع الشين تطلب الجنة بزعمك و هي تحت أقدام أمك حملتك في بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج و كابدت عند الوضع ما يذيب المهج و أرضعتك من ثديها لبنا و أطارت لأجلك وسنا و غسلت بيمينها عنك الأذى و آثرتك على نفسها بالغذاء و صيرت حجرها لك مهذا و أنالتك إحسانا و رفدا فإن أصابك مرض أو شكاية أظهرت من الأسف فوق النهاية و أطالت الحزن و النحيب و بذلت مالها للطبيب و لو خيرت بين حياتك و موتها لطلبت حياتك بأعلى صوتها هذا و كم عاملتها بسوء الخلق مرارا فدعت لك بالتوفيق سرا و جهارا فلما احتاجت عند الكبر إليك جعلتها من أهون الأشياء عليك فشبع و هي جائعة و رويت و هي قانعة و قدمت عليها أهلك و أولادك بالإحسان و قابلت أياديها بالنسيان و صعب لديك أمرها و هو يسير و طال عليك عمرها و هو قصير هجرتها و مالها سواك نصير هذا و مولاك قد نهاك عن التأفف و عاتبك في حقها بعتاب لطيف ستعاقب في دنياك بعقوق البنين و في أخراك بالبعد من رب العالمين يناديك بلسان التوبيخ و التهديد (ذلك بما قدمت يداك و أن الله ليس بظلام للعبيد) : .

(لأمك حق لو علمت كثير ... كثير يا هذا لديه يسير) .

(فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي ... لها من جواها أنة و زفير) .

(و في الوضع لو تدري عليها مشقة ... فمن غصص منها الفؤاد يطير) .

(و كم غسلت عنك الأذى بيمينها ... و ما حجرها إلا لديك سرير) .

(و تفديك بما تشتكيه بنفسها ... و من ثديها شرب لديك نمير) .

(و كم مرة جاعت و أعطتك قوتها ... حنانا و إشفاقا و أنت صغير) .

(فأها لذي عقل و يتبع الهوى ... و آها لأعمى القلب و هو بصير) .

(فدونك فارغب في عميم دعائها ... فأنت لما تدعو إليه فقير) .

[حكى أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه و سلم شاب يسمى علقمة و كان كثير الإجهاد

في طاعة الله في الصلاة و الصوم و الصدقة فمرض و اشتد مرضه فأرسلت امرأته إلى رسول الله صلى

الله عليه و سلم : إن زوجي علقمة في النزاع فأردت أن أعلمك يا رسول الله بحاله فأرسل النبي

صلى الله عليه و سلم عمارا و صهيبا و بلالا و قال : امضوا إليه و لقنوه الشهادة فمضوا إليه

و دخلوا عليه فوجدوه في النزاع فجعلوا يلقنونه (لا إله إلا الله) و لسانه لا ينطق بها

فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة فقال النبي

صلى الله عليه و سلم : هل من أبويه أحد حي ؟ قيل : يا رسول الله أم كبيرة السن فأرسل إليها

رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال للرسول : قل لها إن قدرت على المسير إلى رسول الله صلى

الله عليه و سلم و إلا فقري في المنزل حتى يأتيك قال : فجاء إليها الرسول فأخبرها بقول

رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت : نفسي لنفسه فداء أنا أحق بإتيانه فتوكت و قامت على

عصا و أتت رسول الله صلى الله عليه و سلم فسلمت فرد عليها السلام و قال لها : يا أم علقمة

أصدقيني و إن كذبت جاء الوحي من الله تعالى كيف كان حال ولدك علقمة ؟ قالت : يا رسول

الله كثير الصلاة كثير الصيام كثير الصدقة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فما حالك ؟ قالت

: يا رسول الله أنا عليه ساخطة قال : و لم ؟ قالت : يا رسول الله كان يؤثر علي زوجته و

يعصيني فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة

ثم قال : يا بلال انطلق و اجمع لي حطبا كثيرا قالت يا رسول الله و ما تصنع ؟ قال : أحرقه

بالنار بين يديك قالت : يا رسول الله ولدي لا يحتمل قلبي أن تحرقه بالنار بين يدي قال :

يا أم علقمة عذاب الله أشد و أبقى فإن سرك أن يغفر الله له فارضي عنه فوالذي نفسي بيده لا

ينتفع علقمة بصلاته و لا بصيامه و لا بصدقته ما دمت عليه ساخطة فقالت : يا رسول الله إني

أشهد الله تعالى و ملائكته و من حضرنى من المسلمين أني قد رضيت عن ولدي علقمة فقال رسول

الله صلى الله عليه و سلم : انطلق يا بلال إليه وانظر هل يستطيع أن يقول لا إله إلا الله أم لا ؟

فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياء مني فانطلق فسمع علقمة من داخل الدار يقول

: لا إله إلا الله فدخل بلال فقال : يا هؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة و أن

رضاهأ أطلق لسانه ثم مات علقمة من يومه فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بغسله و كفته ثم صلى عليه و حضر دفنه ثم قام على شفير قبره و قال : يا معشر المهاجرين و الأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا إلا أن يتوب أن يتوب إلى الله عز و جل و يحسن إليها و يطلب رضاءه فرضى الله في رضاءه و سخط الله في سخطها فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه و أن يجنبنا سخطه إنه جواد كريم رؤوف رحيم [